



### الالتزام بالجماعة:

ومن السُّبُلُ النَّافِعَةُ في اجتماعِ الأُمَّةِ وائلاتها: الالتزامُ بالجماعة، وذلك بالاجتماع على الحقِّ الثابت في الكتابِ والسنةِ وعلى فهمِ سلفِ الأُمَّةِ، والالتفافِ حولِ الحاكمِ الشرعيِّ المُسْلِمِ الذي يجتمعُ حولِهِ المُسْلِمُونَ.

ولقد جاءت النصوصُ الْأَمْرَةُ بذلك، قال تعالى: **{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}** [آل عمران: 103]، وقال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تَضَرَّ اللَّهُ عَبْدًا، سَمَعَ مَفَالِيَّتِي هَذِهِ فَحَمَلَهَا، فَرَبُّ حَامِلِ الْفِقْهِ فِيهِ غَيْرُ فَقِيهٍ، وَرَبُّ حَامِلِ الْفِقْهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلَاثٌ لَا يَغُلُّ عَيْنَهُنَّ صَدْرُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، وَمُنَاصَحَةُ أُولَى الْأُمَّةِ، وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ" ، رواهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَةَ وَهُوَ حَسْنٌ.

وقوله: "ثَلَاثٌ لَا يَغُلُّ" بتشديد اللام، قال ابنُ الأثيرِ في "النهاية": من الغل: وهو الحقد والشحنة، أي: لا يدخله حقدُ يُزيله عن الحق، وروي: "يَغُلُّ" بالتحفيف، من الْوُعْولُ: الدخول في الشر، ويروى بضم الياء من الإغلال: وهو الخيانة، والمعنى: أن هذه الخلال الثلاث تُستَصلَحُ بها القلوبُ، فمن تمسَّك بها، طَهَرَ قلْبُهُ من الخيانة والدخل والشر.

ومعنى قوله: "فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ": أن دعوة المسلمين محيطة بهم، فتحرسهم عن كيد الشياطين، وعن الضلال، وفيه تنبيه على أنَّ من خرج من جماعتهم لم يَلِ ببركتهم، وبركة دعائهم؛ لأنَّه خارجٌ عما أحاطت بهم من ورائهم.

وروى الترمذى وصححه عن عبد الله بن عمر عن أبيه - رضي الله عنهما - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال : "عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الظَّنَنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بِحُبُوحَةِ الْجَنَّةِ فَلِيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ".

وبحبوحة الجنة: وسطها، وبحبوحة كل شيء وسطه وخياره.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ لَا يُؤْدِنُ وَلَا تُقَامُ فِيهِمْ

الصلَّاةُ إِلَّا اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ الَّذِبْ يَأْكُلُ الْقَاصِيَّةَ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ وَصَحَّهُ ابْنُ خَزِيمَةَ وَابْنُ حَبَّانَ وَالْحَاكِمَ.

وقد بينَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْجَمَاعَةَ رَحْمَةٌ، وَالْفَرْقَةَ عَذَابٌ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيفَعِنْ أَحْمَدَ: "مَنْ لَمْ يَشْكُرْ الْقَلِيلَ، لَمْ يَشْكُرْ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ، التَّحَدَّثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ، وَالْجَمَاعَةَ رَحْمَةٌ، وَالْفَرْقَةَ عَذَابٌ".

وَفِي صَحِيفَ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ عَنْ أَبِي هَرِيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، فَمَاتَ، فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَأْيَهُ عِمَيَّةٌ، يَعْضَبُ لِعَصَبَتِهِ، وَيُقَاتِلُ لِعَصَبَتِهِ وَيَنْصُرُ عَصَبَتِهِ فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَهَا وَفَاجِرَهَا، لَا يَنْحَاشُ لِمُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدِهَا، فَلَيْسَ مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُ".

وَعِنْ أَحْمَدَ وَأَبِي دَاؤِدَ عَنْ أَبِي ذِئْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ خَالَفَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا، خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنْقِهِ".

الرِّبْقَةُ فِي الْأَصْلِ: عُرْوَةُ فِي حَبْلٍ تُجْعَلُ فِي عُنْقِ الْبَهِيمَةِ أَوْ يَدِهَا تُمْسِكُهَا فَاسْتَعَارَهَا لِلْإِسْلَامِ يَعْنِي مَا يَشُدُّ الْمُسْلِمُ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ عُرَى الْإِسْلَامِ أَيْ حُدُودُهُ وَأَحْكَامُهُ وَأَوْامِرُهُ وَنَوَاهِيهِ.

وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثَتَّانِينَ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفَرَّقَنَ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثَتَّانِينَ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ" قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: "الْجَمَاعَةُ" رواه ابن ماجة وصححه الألباني.

وَعَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوَلَانِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ حُذِيفَةَ بْنَ الْيَمَانِ يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةً أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرِّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: "نَعَمْ" ، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ ، قَالَ: "نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ". قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: "قَوْمٌ يَسْتَنْتَوْنَ بِغَيْرِ سُنْتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدِيَّيِّ، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ". فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: "نَعَمْ، دُعَاءُ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَدَّفُوهُ فِيهَا". فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا. قَالَ: "نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جَلْدِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِالْسِيَّنَا". قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: "تَلَزُّ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامُهُمْ". فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: "فَاعْتَرَلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلُّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ، وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ" ، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ رَأَى مِنْ أَمْبِرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلِيَصْبِرْ، فَإِنَّمَّا خَالَفَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ" ، رواه الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

فَكُلُّ هَذِهِ النِّصْوَصِ تُرِغَبُ بِالْجَمَاعَةِ وَتُرِهَبُ مِنْ مَفَارِقِهَا، وَقَدْ تَحَدَّثَ الشَّاطِئِيُّ -رَحْمَهُ اللَّهُ- فِي كِتَابِهِ التَّأصِيلِيِّ الْمَانِعِ "الاعتصام" عَنْ مَعْنَى الْجَمَاعَةِ عَنْ الْعِلَمَاءِ فَأَوْصَلَهَا إِلَى خَمْسَةِ أَقْوَالٍ، وَهِيَ -بِالْأَخْتَصَارِ- كَمَا يَلِي:

1- أَنَّهَا السُّوَادُ الْأَعْظَمُ.

2- أَنَّهَا جَمَاعَةُ الْعُلَمَاءِ الْمُجتَهِدِينَ.

3- أَنَّ الْجَمَاعَةَ هُمُ الصَّحَابَةُ عَلَى الْخُصُوصِ.

4- أَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ جَمَاعَةُ أَهْلِ إِسْلَامٍ إِذَا اجْتَمَعُوا عَلَى أَمْرٍ.

5- أَنَّ الْجَمَاعَةَ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا عَلَى أَمْرٍ.

وَلَوْ أَنْكَ تَأْمَلْتَ هَذِهِ الْخَمْسَ لَوْجَدَتْهَا تَرْجِعًا إِلَى مَعْنَيَيْنِ اثْنَيْنِ: مَعْنَوِيٍّ وَحَسْبِيٍّ.

فالأول المعنوي: هو الاجتماع على الحق الثابت في الكتاب والسنّة وعلى فهم سلف الأمة من الصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، قال أبو شامة في "الباعث على إنكار البدع والحوادث" (ص: 22): "وَحَيْثُ جَاءَ الْأَمْرُ بِلِزْرُومِ الْجَمَاعَةِ فَالْمُرَادُ بِهِ لِزْرُومُ الْحَقِّ وَاتِّبَاعُهُ وَإِنْ كَانَ الْمَتَّسِكُ بِالْحَقِّ قَلِيلًا وَالْمُخَالِفُ كَثِيرًا، لِأَنَّ الْحَقَّ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ الْأُولَى مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَلَا نَظَرٌ إِلَى كُثْرَةِ أَهْلِ الْبَاطِلِ بَعْدِهِمْ".

وهذا ما عبر عنه ابن مسعود رضي الله عنه عندما قال: "الجماعةُ مَا وَافَقَ الْحَقَّ وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ".

ومن هنا لو كان هناك عالمٌ واحدٌ من أهل الحديث والأثر على وجه الأرض ، لكان الواجب على أهل الأرض أن يتبعوه ، لأنَّه هو الجماعة الحق التي أوصى الرسول صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتزامها . قال إسحاق بن راهويه - رحمه الله - : "إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لِي جَمْعٌ أَمَّةٌ مُّحَمَّدٌ عَلَى ضَلَالٍ فَإِذَا رَأَيْتُمُ الْاِخْتِلَافَ فَعُلِّمُكُمْ بِالْسَّوَادِ الْأَعْظَمِ" ، فقال رجل: يا أبا يعقوب من السواد الأعظم؟ فقال : "مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبَعَهُ" ، ثم قال: سأَلَ رَجُلٌ أَبْنَ الْمَبَارِكَ ، فَقَالَ : "يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مِنَ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ" ؟ قال : "أَبُو حَمْزَةَ السَّكَرِيِّ" ، ثم قال إسحاق: في ذلك الزَّمَانِ يُعْنِي أَبُو حَمْزَةُ ، وَفِي زَمَانِنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ وَمَنْ تَبَعَهُ" ، ثم قال إسحاق : "لَوْ سَأَلْتَ الْجَهَالَ مِنَ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ ؟ قَالُوا : جَمَاعَةُ النَّاسِ ، وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ الْجَمَاعَةَ عَالَمٌ مُّتَّسِكٌ بِأَثْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَرِيقَهُ ، فَمَنْ كَانَ مَعَهُ وَتَبَعَهُ فَهُوَ الْجَمَاعَةُ ، وَمَنْ خَالَفَهُ فِيهِ تَرَكَ الْجَمَاعَةَ ، ثُمَّ قَالَ إسحاق : لَمْ أَسْمَعْ عَالَمًا مِنْ خَمْسِينَ سَنَةً أَعْلَمَ مِنْ مُحَمَّدَ بْنَ أَسْلَمَ". أَخْرَجَهُ أَبُو نَعْيَمُ فِي "الْحَلِيلَةِ" 9/238.

قال الشاطبي في "الاعتصام" 2/778 معلقاً: "فانظر في حكايته تتبين غلط من ظن أن الجماعة هي جماعة الناس وإن لم يكن فيهم عالم ، وهو وهم العوام لا فهم العلماء فليثبت الموقف في هذه المزلة قدمه لثلا يضل عن سواء السبيل ولا توفيق إلا بالله".

وعلقَ ابنُ القيم رحمه الله على كلام اسحاق بن راهويه في "إغاثة اللهفان" 1/70 قائلًا : "وَصَدِقَ وَاللَّهُ فِيْ إِنَّ الْعَصْرَ إِذَا كَانَ فِيْهِ عَارِفٌ بِالسَّنَّةِ دَاعٌ إِلَيْهَا ، فَهُوَ الْحَجَّةُ وَهُوَ الْإِجْمَاعُ ، وَهُوَ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ ، وَهُوَ سَبِيلُ الْمُؤْمِنِينَ الَّتِي مِنْ فَارِقَهَا وَاتِّبَاعُ سُوَاهَا ، وَلَاَهُ اللَّهُ مَا تَوَلَِّي ، وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا".

وقال في "إعلام الموقعين" 3/397: "إِنَّ الْإِجْمَاعَ وَالْحَجَّةَ وَالْسَّوَادُ الْأَعْظَمُ هُوَ الْعَالَمُ صَاحِبُ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ وَحْدَهُ ، وَإِنْ خَالَفَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ ... وَقَدْ شَدَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ زَمْنَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ إِلَّا نَفْرًا يَسِيرًا ، فَكَانُوا هُمُ الْجَمَاعَةُ ، وَكَانَتِ الْقَضَايَا حِينَئِذٍ وَالْمُفْتُونَ وَالْخَلِيفَةُ وَأَتَبَاعُهُ هُمُ الشَّاذُونَ، وَكَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَحْدَهُ هُوَ الْجَمَاعَةُ".

والمعنى الثاني للجماعة: هو الاجتماع مع المسلمين على الإمام الحق بحيث لا يخرج عليه مادام على الإسلام وهذا المعنى هو الذي دلَّ عليه قول النبي صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث حذيفة: "تَلَزُّ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامُهُمْ".

وهذه الجماعة العامة فيها السنّيُّ والبدعِيُّ والطائُّ والعاصي، فيجبُ على كلِّ مسلمِ الالتزام بالحق فيتترك البدعة للسنة، والمعصية للطاعة، فإذا اجتمع المسلمون على السنة والطاعة اجتمع معهم، وإن اجتمعوا على البدعة أو المعصية لم يطعهم ونصحهم، ولا يُحْدِثُ فُرْقَةً ولا فتنةً، محققاً لقول الله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُوَّانِ} [المائدة: 2]، ولقول النبي صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمِنَ بِمَعْصِيَةِ، فَإِنَّ أَمْرَ مِعْصِيَةِ، فَلَا سَمْعَ، وَلَا طَاعَةَ".

هذا والله أعلم وأحكِم، وله الحمد في الأولى والآخرة، والصلوة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين.

المصادر: